نتيجة لعوامل لا مجال هنا لذكرها، بما يعرف بظاهرة «تعب المعادن» (metal fatigue). فبسبب من طول مرحلة «النضـال»؛ بما رافقها من «توتّر ثوري»، فضلاً عن النكسات المختلفة، وجد البعض انفسهم ازاء وضع عكس اعترافاً دفيناً بأن المطامح والمزاعم القديمة في النزاع مع اسرائيل كانت تتجاوز، بالفعل، القدرات الحقيقية، وان النزاع عينه بات عبئاً ثقيلاً على نحو متزايد.

واذا ما كانت «قمّة عمّان» (تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٨٧) ابعدت العرب اكثر ممّا يجب عن جبهة النزاع مع اسرائيل، فان قمة الجزائر، في نهاية ربيع العام ١٩٨٨، جاءت توضح ان الاهتمام العربي، إنْ انتقل فعلاً من الخليج نحو فلسطين، فهو اصبح اهتماماً من نوع جديد. لقد شاءت دول النفط الّا تجدد الاعتمادات التي رصدتها «قمة بغداد» العام ١٩٧٨ لدول المواجهة، وانْ كانت اسعار النفـط المخفضـة الى اجـل غير مسمّى تفسّر هذا القرار الى حد بعيد، فما علينا تناسي الاساس. والاساس هو ان عقداً من الزمن انقضى منذ توقيع اتفاقيتي كامب ديفيد بين مصر واسرائيل، لم تقم فيه دول المواجهة، فعلاً، بالتعويض المحسوس عن غياب مصر، أو بالأحرى عن تحييد الجبهة المصرية، ولم تنشأ الجبهة الشرقية، ولا شيء يشبهها من قريب او بعيد؛ بل على العكس، فقد انشغل العراق في حرب طاحنة ضد ايران؛ وازداد التورط السوري في لبنان، وارتفعت حدة الخلاف السوري ـ الاردني ـ الفلسطيني؛ وبقيت علاقات عمّان حذرة مع دمشق، ومتقلبة مع م.ت.ف.

ليست هذه، طبعاً، افضل صورة يمكن ان يكون الواقع العربي عليها؛ ولكننا لسنا، هنا، في مجال توزيع المسؤوليات؛ وما هو اهم من ذلك التأمل، ملياً، في التحوّلات الجارية في هذا السياق. وبالطبع، ليس من المغالاة في شيء القول، ان اهمّ تحول جوهري في الحقبة الراهنة هو ان الاطراف العربية الاكثر تورطاً في النزاع مع اسرائيل اصبحت في حالة جديدة من غياب المبرّر الواقعي، في ضوء قيام الانتفاضة الفلسطينية في الارض المحتلة، وفي ضوء انسحاب الغطاء المفهومي (كمشروع قيام جبهة شرقية)، بحيث اصبح معها التمسّك بعناصر النزاع المتضائلة نوعاً من التوهّم المجاني.

واذا ما كانت هذه المعطيات الجديدة قد اسفرت، في الاجمال، عن عدد من الديناميات التي قد تغيّر في جوهر النزاع العربي ـ الاسرائيلي لسنوات عديدة مقبلة، فان السؤال الكبير الذي يتغلغل في الاذهان هو: هل كان العرب ضحايا اربعة عقود من الاهتمام المبالغ فيه وغير المبرر بقضية هي، في النهاية، فلسطينية ـ اسرائيلية؟

سوف تسعى هذه الدراسة الى ابراز عناصر الاجابة عن السؤال اعلاه، من خلال التذكير، تباعاً، بالجـدليات التي وجدت الاطراف الرئيسة الثلاثة نفسها (سوريا، الاردن، مصر)، باعتبارها خط مواجهة العالم العربي في الصراع التاريخي ضد الدولة العبرية، والاكثر تورطاً في النزاع، مضطرة الى اعادة النظر في حساباتها الاقليمية، في ضوء المتغيرات المستجدة التي طرأت على ميزان القوى في المنطقة. أمّا المدخل الفعلي الى هذا التقويم الجديد، فهو، طبعاً، اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في الارض المحتلة، التي غذّت الرغبـة الطبيعية في استكناه جوهر ذلك النزاع؛ كما انها فتحت آفاقاً وفرضيات لم تكن، قبلئذٍ، موضوع النظر.

ويبـدو من الضروري لنا، ونحن نراجع الجدليات التي نشأت لدى تلك الاطراف الثلاثة، ان نضعهـا في اطارهـا التـاريخي المحـدّد. الاولى هي الاقليميـة؛ ونعني بها تغليب العناصر الجيو ـ استراتيجية على تلك النابعة من الانتماء القومي العروبي، بحيث انتقلت فلسطين فيها من امتداد جغـرافي ـ طبـيعي لـ «سـوريـا الكبـرى»، الى نوع من التفـاهم الضمني وغـير الرسمي مع